سُورةُ المُطَفِّفينَ

من الآية (18) إلى الآية (36)

الجزء الثالث

المعنى الإجمالي: من الآية (7) إلى الآية (17)

يقولُ تعالى متوَعِّدًا ومهدِّدًا: فارتَدِعوا -أيُّها الفُجَّارُ الظَّلَمةُ- عمَّا أنتم فيه مِن التَّطفيفِ والغَفْلةِ عن البَعثِ والحِسابِ؛ إنَّ صَحيفةَ أعمالِ الفُجَّارِ مِنَ المطَفِّفينَ وغيرِهم في مكانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الأرضِ السَّابعةِ، وما أعلَمَك -يا مُحمَّدُ- بحَقيقةِ سِجِّينٍ الموضوعِ فيه كتابُ أعمالِ الفُجَّارِ؟ كِتابُ الفُجَّارِ كِتابٌ مَكتوبةٌ فيه أعمالُهم.

عَذابٌ وهَلاكٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ الَّذين يُكَذِّبونَ بيومِ الحِسابِ والجَزاءِ. ثمَّ يُبيِّنُ تعالى أوصافَ هؤلاءِ المكذِّبينَ، فيقولُ: وما يُكَذِّبُ بذلك اليَومِ إلَّا كُلُّ مُعتَدٍ على حُدودِ اللهِ، كَثيرِ الآثامِ، إذا تُلِيَت عليه آياتُ القُرآنِ قال مُكَذِّبًا: تلك أحاديثُ الأوَّلِينَ وخُرافاتُهم الَّتي سُطِرَت في الكُتُبِ مِن قَبْلُ!

ثمَّ يبيِّنُ سُبحانَه السَّببَ الَّذي حمَلَهم على أن يَقولوا في القرآنِ ما قالوا، فيقولُ: ارتَدِعوا وانزَجِروا عن هذه الأقوالِ؛ فليس الأمرُ كما زعَمْتُم أيُّها المعتَدُونَ الآثِمونَ، وإنَّما السَّبَبُ في افترائِهم هو كثرةُ الذُّنوبِ والخَطايا الَّتي حجَبَت قُلوبَهم عن الإيمانِ بالقُرآنِ، كَلَّا إنَّ أولئك المكَذِّبينَ لَمَحجوبونَ يومَ القيامةِ عن رَبِّهم، فلا يَرَونَه أبَدًا، ثمَّ إنَّهم يَدخُلونَ النَّارَ، ويَحتَرِقونَ فيها، ثمَّ يُقالُ لهم تقريعًا وتَوبيخًا: هذا هو عذابُ النَّارِ الَّذي كنتُم في الدُّنيا تُكَذِّبونَ به؛ فذُوقوه!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾﴿18﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا ذكَرَ تعالى أمْرَ كِتابِ الفُجَّارِ وأنَّه في أسفَلِ الأمكِنةِ وأضيَقِها؛ عَقَّبَه بذِكرِ كِتابِ ضِدِّهم وهو كِتابُ الأبرارِ، وأنَّه في أعلَى الأمكِنةِ وأوسَعِها وأفسَحِها؛ لِيَتبيَّنَ الفَرْقُ.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

قال الرازي: وأيضًا لَمَّا ذَكَر حالَ الفُجَّارِ المطَفِّفينَ؛ أتْبَعَه بذِكْرِ حالِ الأبرارِ الَّذين لا يُطَفِّفونَ .

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ أولئك الفُجَّارُ مِن أنَّه لا بَعْثَ ولا حِسابَ ولا جَزاءَ؛ فلْيَرتَدِعوا عن تكذيبِهم بذلك! إنَّ صَحيفةَ أعمالِ المؤمنينَ الطَّائِعينَ الملازِمينَ فِعْلَ الخَيراتِ وأعمالَ الإحسانِ: في مَوضِعٍ عالٍ رفيعٍ. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (قوله: لَفِي عِلِّيِّينَ معناه: في علوٍّ وارتفاعٍ، في سماءٍ فوقَ سماءٍ، وعلوٍّ فوقَ علوٍّ. وجائزٌ أن يكونَ ذلك إلى السَّماءِ السَّابعةِ، وإلى سِدْرةِ المنتهى، وإلى قائمةِ العَرشِ، ولا خبَرَ يَقطَعُ العُذرَ بأنَّه مَعْنيٌّ به بعضُ ذلك دونَ بعضٍ. والصَّوابُ أن يُقالَ في ذلك كما قال جلَّ ثناؤه: إنَّ كتابَ أعمالِ الأبرارِ لَفِي ارتفاعٍ إلى حدٍّ قد علِمَ اللهُ جلَّ وعزَّ مُنْتَهاه، ولا عِلْمَ عندَنا بغايتِه، غيرَ أنَّ ذلك لا يقصرُ عن السَّماءِ السَّابعةِ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن أهلِ التَّأويلِ على ذلك).

عن البَراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما في حَديثِه الطَّويلِ في صفةِ قبضِ الرُّوحِ، ونعيمِ القبرِ وعذابِه، وفيه: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((فيَصعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ -يعني: بها- على مَلَإٍ مِنَ الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنْتَهوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَستَفتِحونَ له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السَّماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنتَهى به إلى السَّماءِ السَّابعةِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: اكتُبُوا كِتابَ عَبْدي في عِلِّيِّينَ، وأَعيدوه إلى الأرضِ؛ فإنِّي منها خَلَقْتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى)).

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ﴿19﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان هذا أمرًا عَظيمًا؛ زاد في تعظيمِه بقولِه

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ) أي: وما أعلَمَك -يا محمَّدُ- بحقيقةِ عِلِّيِّينَ الموضوعِ فيه كتابُ أعمالِ الأبرارِ.

موسوعة التفسير

■والاستفهامُ هنا قيل: هو للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ.

﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ﴿20﴾

(كِتَابٌ مَرْقُومٌ) أي: كِتابُ الأبرارِ هذا هو كِتابٌ مَسطورةٌ أعمالُهم فيه بوُضوحٍ دونَ زِيادةٍ أو نَقْصٍ.

موسوعة التفسير

قال ابن القيم: تحقيقٌ لكَونِه مَكتوبًا كِتابةً حَقيقيَّةً.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿21﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا عَظَّمَه في نَفْسِه وفي مَكانِه؛ عَظَّمَه في حُضَّارِه؛ فقال

(يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) أي: يَحضُرُه عِبادُ اللهِ المقَرَّبونَ عِنْدَه. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: خَصَّ تعالى كتابَ الأبرارِ بأنَّه يُكْتَبُ ويُوَقَّعُ لهم به بمَشْهَدِ المقرَّبينَ مِن الملائكةِ والنَّبيِّينَ وساداتِ المؤمنينَ -وذلك على قولٍ-، ولَمْ يَذْكُرْ شَهادةَ هؤلاء لكِتابِ الفُجَّارِ؛ تنويهًا بكتابِ الأبرارِ وما وَقَعَ لهم به، وإشهارًا له، وإظهارًا بيْنَ خواصِّ خلْقِه؛ كما تكتبُ الملوكُ تواقيعَ مَن تُعَظِّمُه بيْنَ الأمراءِ وخواصِّ أهلِ المملكةِ؛ تنويهًا باسمِ المكتوبِ له، وإشادةً بذِكْرِه، وهذا نوعٌ مِن صلاةِ اللهِ سُبحانَه وتعالى وملائكتِه على عَبْدِه.

قال البقاعي: (هم شهودُ هذا المسطور، وهم الملائكةُ يُشَيِّعونَه مِن سماءٍ إلى سماءٍ، ويَحُفُّون به؛ سرورًا وتعظيمًا لصاحِبِه، ويَشهَدُه مَن في السَّمَواتِ مِنَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالحينَ).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿22﴾

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) أي: إنَّ المؤمِنينَ الَّذين أطاعوا اللهَ، وأحسَنُوا إلى عبادِ اللهِ: لَفِي نَعيمِ الجَنَّةِ الدَّائِمِ. موسوعة التفسير

✸البِرُّ: اسمٌ جامعٌ للطَّاعاتِ وأعمالِ الخيرِ المقَرِّبةِ إلى اللهِ تعالى.

قال ابن عثيمين: يعني: أنَّهم في نَعيمٍ في القَلبِ، وفي نعيمٍ في البَدَنِ، فهُم في أَسَرِّ ما يَكونُ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿23﴾

(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) أي: هم على السُّرُرِ الَّتي أُرخِيَ عليها سُتورٌ مُزَيَّنةٌ يَنظُرونَ إلى وَجهِ اللهِ الكَريمِ، وإلى ما أعطاهم مِنَ النَّعيمِ العَظيمِ. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: (ينظرونَ إلى وجهِ ربِّهم، ضدَّ حالِ الكفارِ الذين هم عن ربِّهم محجوبونَ).

وقال السعدي: (يَنْظُرُونَ إلى ما أعدَّ الله لهم مِن النَّعيمِ، ويَنظُرون إلى وجهِ ربِّهم الكريمِ).

كما قال تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة: 22-23] .

قال ابنُ عبَّاسٍ : تَنظُرُ إلى ربِّها عِيانًا بلا حِجابٍ.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿24﴾

(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) أي: تَعرِفُ في وُجوهِهم أثَرَ النِّعمةِ والسُّرورِ الظَّاهِرَ؛ مِنَ الحُسْنِ والبَهاءِ والنَّضارةِ. موسوعة التفسير

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿25﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ﴿26﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كانت مجالِسُ الأُنْسِ -لا سِيَّما في الأماكِنِ النَّضِرةِ- لا تَطِيبُ إلَّا بالمآكِلِ والمشارِبِ، وكان الشَّرابُ يدُلُّ على الأكلِ؛ قال مُقتَصِرًا عليه؛ لأنَّ هذه السُّوَرَ قِصارٌ، يُقصَدُ فيها الجَمعُ مع الاختِصارِ؛ قال

(يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي: يُسقَى هؤلاءِ الأبرارُ مِن خَمرٍ لذيذةٍ صافيةٍ لا كَدَرَ فيها، مختومةٍ بالمِسْكِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: عُبِّرَ بالفِعلِ يُسْقَوْنَ دُونَ (يَشرَبون)؛ للدَّلالةِ على أنَّهم مَخدومون، يَخدُمُهم مخلوقاتٌ مِن أجْلِ ذلك في الجَنَّةِ، وذلك مِن تَمامِ التَّرفُّهِ ولَذَّةِ الرَّاحةِ.

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا)[الإنسان:19]

■قيل: إنَّ المرادَ بالخِتامِ: ما يَبقى في سُفْلِ الشَّرابِ مِن الثُّفْلِ، حُثَالةُ الشَّيْءِ، وهو الثَّخينُ الَّذي يَبقَى أسفَلَ الصَّافي.

قال ابن رجب: وهذا يدُلُّ على أنَّ أنهارَها تجري على المِسْكِ؛ ولذلك يَرْسُبُ منه في الإناءِ في آخِرِ الشَّرابِ كما يَرسُبُ الطِّينُ في آنيةِ الماءِ في الدُّنيا.

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) أي: فلْيجتَهِدِ المتسابِقونَ ويُبادِروا في طَلَبِ ذلك النَّعيمِ ، بطاعةِ اللهِ تعالى، واجتنابِ ما يُسخِطُه، ولْيُسارِعوا؛ حِرصًا على الفوزِ به. موسوعة التفسير

قال الطبري: بقولِه ذَلِكَ: الإشارةُ إلى ما سبق ذِكرُه في هذه السُّورةِ مِن نَعيمِ الجَنَّةِ.

قال ابن عطية: توجيهٌ إلى ما ينبغي أن تكونَ فيه المنافَسةُ؛ ففي هذه الآيةِ الكريمةِ لَفتٌ لأوَّلِ السُّورةِ؛ فإذا كان أولئك يَسعَونَ لجَمعِ المالِ بالتَّطفيفِ، فلَهُمُ الوَيلُ يومَ القيامةِ، وإذا كان الأبرارُ في نعيمٍ يومَ القيامةِ، وهذا شَرابُهم؛ فهذا هو محَلُّ المنافَسةِ، لا في التَّطفيفِ مِن أيِّ مَكيلٍ أو مَوزونٍ.

قال ابن رجب: أنَّ العاقلَ يُنافِسُ في العُلُوِّ الدَّائمِ الباقي الَّذي فيه رِضوانُ اللهِ وقُرْبُه وجِوارُه، ويَرغَبُ عن العُلُوِّ الفاني الزَّائلِ الَّذي يَعْقُبُه غَضَبُ اللهِ وسَخَطُه، وانحِطاطُ العبدِ وسُفولُه، وبُعْدُه عن اللهِ وطَرْدُه عنه؛ فهذا العُلُوُّ الفاني الَّذي يُذَمُّ، وهو العُتُوُّ والتَّكبُّرُ في الأرضِ بغَيرِ الحقِّ، وأمَّا العُلُوُّ الأوَّلُ والحِرصُ عليه فهو محمودٌ.

قال القصاب: فإذا دَخَلوا الجَنَّةَ وانتَقَلوا عن دارِ المِحَنِ، ورُفِعَتْ عنهم العبادةُ؛ تَلَذَّذوا بمَحابِّ النُّفوسِ مِن الأكلِ والشُّربِ وأنواعِ النَّعيمِ مِن مُعانَقةِ الحُورِ ومَن يُزَوَّجون مِن الآدَميَّاتِ المطيعاتِ، ويُرَدُّ إليهم مِن الزَّوجاتِ اللَّواتي كُنَّ لهم في الدُّنيا، فلَمْ يَضُرَّهم ذلك، ولا خَشُوا مَقْتًا مِن ربِّهم، ولا حَذِروا فُتورًا عن العبادةِ؛ لأنَّه جزاءٌ لهم على ما أطاعوه في الدُّنيا، وآثَروا طاعتَه على مَلاذِّهم ومَحابِّهم فيها، ألَا تراه يقولُ سُبحانَه: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 24] ، والقرآنُ مملوءٌ به؛ مِن قوله: جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: 17].

كما قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: 133] .

وقال سُبحانَه: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ [الحديد: 21] .

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿27﴾

مناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا ذَكَرَ الشَّرابَ أتْبَعَه مِزاجَه -على ما يَتعارَفُه أهلُ الدُّنيا- لكِنْ بما هو أشرَفُ منه؛ فقال مُبَيِّنًا لحالِ هذا المسْقِيِّ

(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) أي: يُمزَجُ ذلك الرَّحيقُ المختومُ ويُخلَطُ بشَرابٍ شَريفٍ مِن عَينٍ رَفيعةٍ عاليةٍ اسمُها تَسنيمٌ. موسوعة التفسير

قال الجوهري: (تسنَّمه، أي: علاه. وقوله تعالى: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قالوا: هو ماءٌ في الجنَّةِ، سمِّي بذلك لأنَّه يجري فوقَ الغرفِ والقصورِ).

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿28﴾

(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) أي: وتلك العَينُ يَروَى بها المقَرَّبونَ السَّابِقونَ، وهم أعلى وأفضَلُ مِن الأبرارِ، فيَشرَبونَ منها شرابًا صافيًا خالِصًا دونَ أن يُمزَجَ بشَيءٍ. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: أنَّ مِزاجَ شَرابِ الأبرارِ مِن التَّسنيمِ؛ وأنَّ المقرَّبينَ يَشرَبونَ منه بلا مِزاجٍ؛ وهذا لأنَّ الجزاءَ وِفاقُ العَمَلِ، فكما خَلَصَتْ أعمالُ المقرَّبينَ كلُّها للهِ خَلَصَ شرابُهم، وكما مَزَجَ الأبرارُ الطَّاعاتِ بالمباحاتِ، مُزِجَ لهم شَرابُهم؛ فمَن أَخلَصَ أُخلِصَ شَرابُه، ومَن مَزَجَ مُزِجَ شرابُه.

قال ابن تيمية: فالمقرَّبون يَرْوَونَ بها فلا يحتاجُونَ معها إلى ما دونَها؛ فلهذا يَشرَبونَ منها صِرْفًا بخِلافِ أصحابِ اليمينِ؛ فإنَّها مُزِجَتْ لهم مَزْجًا، وهو كما قال تعالى في سورةِ (الإنسانِ): كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا [الإنسان: 5-6] ، فعِبَادُ اللهِ هم المقرَّبون المذكورونَ في تلك السُّورةِ؛ وهذا لأنَّ الجزاءَ مِن جنسِ العمَلِ في الخَيرِ والشَّرِّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿29﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبْلَها: قال الرازي: لَمَّا وَصَف سُبحانَه كَرامةَ الأبرارِ في الآخِرةِ؛ ذَكَر بعْدَ ذلك قُبْحَ مُعامَلةِ الكُفَّارِ معهم في الدُّنيا في استِهزائِهم وضَحِكِهم، ثمَّ بَيَّن أنَّ ذلك سيَنقَلِبُ على الكُفَّارِ في الآخِرةِ، والمقصودُ منه تسليةُ المؤمنينَ وتقويةُ قُلوبِهم

(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) أي: إنَّ الكُفَّارَ كانوا في الدُّنيا يَضحَكونَ مِنَ المؤمِنينَ؛ استِهزاءً بهم، وسُخْريةً منهم، واحتِقارًا لهم. موسوعة التفسير

■تحريمُ السُّخْريةِ بالمؤمنينَ، والضَّحِكِ منهم، والتَّغامُزِ عليهم.

وقال سُبحانَه: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ [المؤمنون: 109 – 111] .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ﴿30﴾

(وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) أي: وإذا مَرُّوا بهم في طَريقِهم تغامَزَ أولئك المجرِمونَ، فأشار بَعضُهم إلى بَعضٍ بأعيُنِهم؛ استِهزاءً بالمؤمنينَ، واحتِقارًا لهم. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ﴿31﴾

(وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) أي: وإذا انصَرَفَ أولئك المجرِمونَ إلى أهلِهم في بُيوتِهم انصَرَفوا فَرِحينَ مَسرورينَ باستِخفافِهم بالمؤمِنينَ. موسوعة التفسير

جمَعوا بيْن غايةِ الإساءةِ والأمْنِ في الدُّنيا.

كما قال تعالى: ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى [القيامة: 33] .

وقال سُبحانَه: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق: 13] .

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ﴿32﴾

(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) أي: وإذا رَأَوُا المؤمنينَ قالوا: إنَّ هؤلاء لَضالُّونَ عن طَريقِ الحَقِّ، وفِعْلِ الصَّوابِ. موسوعة التفسير

قال ابنُ عاشور: (مُرادُهم بالضَّلالِ: فَسادُ الرَّأيِ؛ لأنَّ المشركينَ لا يَعرِفونَ الضَّلالَ الشَّرعيَّ، أي: هؤلاء سَيِّئو الرَّأيِ؛ إذ اتَّبَعوا الإسلامَ، وانسَلَخوا عن قَومِهم، وفَرَّطوا في نَعيمِ الحياةِ؛ طَمَعًا في نَعيمٍ بعدَ الموتِ، وأقْبَلوا على الصَّلاةِ والتَّخَلُّقِ بالأخلاقِ الَّتي يَراها المشرِكونَ أوهامًا وعَنَتًا؛ لأنَّهم بمَعزِلٍ عن مَقدِرةِ قَدْرِ الكَمالِ النَّفْسانيِّ، وما همُّهم إلَّا التَّلَذُّذُ الجُثمانيُّ).

قال ابن عثيمين: قاعدةٌ ثابتةٌ لأتْباعِ الرُّسُلِ: «أنَّ أهلَ الباطِلِ يُلَقِّبُون أهلَ الحقّ بألقابِ السُّوءِ؛ تنفيرًا للنَّاسِ عن قَبُولِهم»، واللهُ تبارك وتعالى قد جَعَلَ لكلِّ نبيٍّ عدوًّا مِن المجرِمينَ، والعدوُّ مِن المجرِمينَ عَدوٌّ للنَّبيِّ بوَصْفِه، بدليلِ أنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قبْلَ أنْ تأتيَه الرِّسالةُ هو عندَ العربِ الصَّادقُ الأمينُ، ويَرون أنَّه مِن أفضلِ بني هاشِمٍ، وأقوَمِهم بالعَدْلِ؛ فلمَّا جاء بالحَقِّ صار عندَهم الخائِنَ الكذوبَ! فإذا كان هؤلاء المجرِمون يُعادُونَ الرُّسُلَ بوصْفِهم؛ فمعنى ذلك أنَّ هذه المعاداةَ ستنتقِلُ إلى مَن تابَعَ هؤلاء الرُّسُلَ؛ لأنَّ المعنى الَّذي حَصَلَتْ به العداوةُ موجودٌ أيضًا في أتْباعِ الرُّسُلِ، ونستفيدُ مِن هذا: طَمْأَنةُ أتْباعِ الرُّسُلِ، وتثبيتَهم على أنَّهم سينالُهم مِن ألقابِ السُّوءِ ومن المعاداةِ مِثلُ ما نال الرُّسُلَ؛ فعليهم أنْ يُقابِلوا ذلك بالصَّبرِ والثَّباتِ والقوَّةِ، لا أنْ يَنخذِلوا، بل عليهم أنْ يَكونوا كما كان مَتبوعُهم الَّذي أَمَرَه اللهُ قائلًا: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ ﴿33﴾

(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) أي: ولم يُرسِلِ اللهُ الكُفَّارَ وُكَلاءَ على المؤمِنينَ ليَحفَظوا أعمالَهم، ويَنشَغِلوا بمُراقَبتِهم، ويَحكُموا عليهم، بل كَلَّفَهم اللهُ بالإيمانِ، والانشغالِ بالأعمالِ الصَّالحةِ. موسوعة التفسير

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿33﴾

(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) أي: ففي اليَومِ الآخِرِ يَضحَكُ المؤمِنونَ مِنَ الكُفَّارِ حينَ يَرَونَهم وهُم يُعَذَّبونَ. موسوعة التفسير

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿35﴾

(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) أي: والمؤمِنونَ في الجَنَّةِ على السُّرُرِ الَّتي أُرخِيَ عليها السُّتُورُ المزيَّنةُ يَنظُرون إلى وَجهِ رَبِّهم الكريمِ، وإلى ما أُعِدَّ لهم مِن النَّعيمِ، وإلى الكافِرينَ وهم يُعذَّبونَ. موسوعة التفسير

قال ابنُ القيم: "فأطلَقَ النَّظَرَ، ولم يُقَيِّدْه بمَنظورٍ دونَ مَنظورٍ، وأعلى ما نظَروا إليه وأجَلُّه وأعظَمُه هو اللهُ سُبحانَه وتعالى، والنَّظَرُ إليه أجَلُّ أنواعِ النَّظَرِ وأفضَلُها، وهو أعلى مراتِبِ الهِدايةِ؛ فقابَلَ بذلك قَولَهم: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ..."

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿36﴾

(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) أي: هل جُوزِيَ الكُفَّارُ على ما كانوا يَفعَلونَه في الدُّنيا حينَ يُعَذِّبُهم اللهُ في النَّارِ. موسوعة التفسير

■فهو استفهامٌ تَقريريٌّ وتَعجيبٌ مِن عدَمِ إفلاتِهم منه بعْدَ دُهورٍ.